بقلم: د. دان ياهف*

حول تعريف "جرائم الحرب" الخلفية والتطور

كان بنيامين زئيف هرتسل قد أرسى مقولة "على الضباط أن يبقوا في ثكناتهم، والحاخامات في كُنسِهم".

هذا المقال يستهدف تفحص مدى ابتعاد المجتمع الإسرائيلي عن فكرة هرتسل الطوبائية[1].

ظهرت المعضلات الأمنية منذ بداية الاستيطان الصهيوني في "أرض إسرائيل" مع موجة الهجرة الأولى سنة ١٨٨٢، في المستوطنات الأولى وفي "مستوطنات العمل"، حيث تشكلت فيها، كما حصل في المدن، منظمات شبه عسكرية وشبه نظامية مثل "هشومير" ("بارغيورا")، "نيلي"، "نوردوت"، "فلوغوت هليلة"، "الهاغاناه"، "البالماح"، "إتسل" و "ليحي"[2].

غير أن إقامة المؤسسة الجديدة، التي حافظت على بقائها، وهي الجيش.

تأسس "جيش الدفاع الإسرائيلي" إبان حرب العام ١٩٤٨ ("حرب الاستقلال") استناداً لوحدات "الهاغاناه" و "البالماح" و العناصر السابقة في الجيش البريطاني بالإضافة إلى وحدات منظمتي "إتسل" و "ليحي"، و أعلن رسمياً عن إقامة الجيش في العام ذاته.

ثم حصلت قضية سفينة "التالينا" الشهيرة، في الأيام الأولى لقيام الدولة، وهي السفينة التي وصلت من اوروبا محملة بالسلاح و المتطوعين لحساب منظمة "الإتسل"، وتم قصفها وإغراقها في البحر بناء على أوامر (دافيد) بن غوريون. هذه القضية بقيت أشبه بشوكة مدمية في تاريخ الدولة[3].

في أعقاب حل المنظمتين السريتين "إتسل" و "ليحي" وتحولهما إلى أحزاب، وبعد قيام الحكومة بحل قيادة "البالماح"[4]، أصبح "جيش الدفاع الإسرائيلي" القوة العسكرية الشرعية الوحيدة التي تحظى برعاية الحكومة[5]. وبعد فترة قصيرة من اتفاقية "الهدنة"،

* جغرافي محاضر في كلية حولون

لعبت قضية النزاع الإسرائيلي-العربي دوراً مركزياً في تاريخ إسرائيل. في الجدل العمومي، كان التداول العلني للمشكلات السياسية والأمنية، والجدل السياسي-الأمني ذاته، مرتبطين بطبيعة الحال بإثارة موضوع طابع المكونات المركزية في الهوية الإسرائيلية، وخاصة المكونين الديني والإقليمي.
وقد عززت الحروب بالضرورة المكون العسكري والأمني في هذه الهوية، وعززت أيضاً بصورة حتمية إمكانية تحول المجتمع الإسرائيلي إلى مجتمع عسكري.

أقيم الجيش النظامي الذي ترأسه الرئيس الثاني لهيئة الأركان العامة، يغئال يادين[٦]، وتحول "جيش الدفاع" إلى عامل حاسم في الساحة الإسرائيلية، في الخدمة النظامية وخدمة الاحتياط ووزارة الدفاع، بما في ذلك جهازي "الموساد" و "الشاباك" والوحدات المختارة في جهاز الشرطة.

كذلك تحولت الصناعات العسكرية والجوية إلى جهاز مؤسسي لا نظير له من حيث الأهمية، إذ أصبحت هذه الصناعات قطاعاً اقتصادياً محظياً ورمزاً يميز الدولة الجديدة، انبثقت منه نخب جديدة[٧]. هذه المؤسسات و الأجهزة غدت الوسائل الرئيسية التي أمكن بواسطتها التصدي بنجاح، جزئي على الأقل، لمشكلات الأمن.

ولكن بالرغم من كل هذه المؤسسات وما تتضمنه من جيش ضخم و جنرالات مرموقين، فقد أخفقت إسرائيل حتى الآن في التوصل إلى تسويات سلمية شاملة مع جيرانها و جاراتها (باستثناء مصر و الأردن). جنباً إلى جنب نشأ وضع غامض بالنسبة للمناطق التي احتلتها إسرائيل في حرب "الأيام الستة" (١٩٦٧)، في "يهودا و السامرة" (الضفة الغربية و قطاع غزة، الذي انفصلنا عنه مؤخراً وسط إخلاء مستوطناتنا القائمة هناك، وفي هضبة الجولان و القدس الشرقية[٨].)

لعبت قضية النزاع الإسرائيلي–العربي دوراً مركزياً في تاريخ إسرائيل. في الجدل العمومي، كان التداول العلني للمشكلات السياسية والأمنية، والجدل السياسي–الأمني ذاته، مرتبطين بطبيعة الحال بإثارة موضوع طابع المكونات المركزية في الهوية الإسرائيلية، وخاصة المكونين الديني والإقليمي.

وقد عززت الحروب بالضرورة المكون العسكري والأمني في هذه الهوية، وعززت أيضاً بصورة حتمية إمكانية تحول المجتمع الإسرائيلي إلى مجتمع عسكري. مركزية الصورة أو الصبغة العسكرية تدعمت بدورها لدى المكونات الرئيسية للمجتمع الإسرائيلي، وتحولت شعارات من قبيل "جيدون للطيران" و"ورائي إلى المظليين" إلى شعارات رائجة ومألوفة في المجتمع، وحلت بدرجة كبيرة مكان الصورة الطليعية، الأمر الذي ساهم في التغييرات التي طرأت لدى الرأي العام المحلي والعالمي تجاه إسرائيل[٩].

في الخمسينيات والستينيات، وبالأخص في السبعينيات، عقب الانتصار السريع على مصر والأردن وسورية في "حرب الأيام الستة"، علت مكانة الجندي والضابط والقائد العسكري في السلَّم الاجتماعي الإسرائيلي.

من الواضح أن القادة السياسيين والعسكريين تمتعوا منذ فترة "اليشوف" بمكانة مرموقة[١٠]، وقد بقيت هذه المكانة على حالها في فترة الدولة أيضاً[١١].

في بحث سوسيولوجي نُشِر في السبعينيات تبين أن المهن العسكرية تحتل مكاناً مرموقاً في سُلَّم (ترتيب) المهن: إذ احتل "ضابط طيارة" المكان الخامس، وضابط في سلاح المشاة، المكان الحادي عشر بين ٢٧ مكاناً[١٢]. وبعد حرب العام ١٩٦٧ لمع بريق الجنرالات، إلاّ أن حرب "يوم الغفران" (أكتوبر ١٩٧٣) بهتت قليلاً جاذبية الجيش والمؤسسة العسكرية.

لقد تغيرت صورة المجتمع الإسرائيلي تدريجياً نحو مجتمع قومي منغلق، يشدد على القيم العسكرية ("الأمنية")، مجتمع مستعمرين غير مستعد للإعتراف بحقوق الآخر، مجتمع لايعرف المرونة السياسية، ويسير فقط في اتجاه عسكري عدواني[١٣].

إلى جانب ذلك إزداد تخصص و احتراف النخبة العسكرية التي تشكل في حد ذاتها تطوراً طبيعياً لمسارات تقدم مهني، انحصرت غالباً داخل أُطر الجيش، ولاسيما في مجال التكنولوجيا العالية،

والامتيازات الكبيرة في شروط الخدمة والانتقال السهل نسبياً إلى حياة السياسة والأعمال[١٤].

وتميل غالبية الإسرائيليين إلى الإفتراض أن الجيش وقادته الكبار يعملون ويتصرفون بصورة عامة بناء على ما يُطلب منهم، وأنهم يؤدون عملهم كما ينبغي. وقد تعرف الكثير من الناس، كمواطنين وكجنود في الاحتياط، على الوحدات والقادة العسكريين، ونمّا الكثيرون في حياتهم المدنية أيضاً العلاقات التي أنشأوها خلال خدمتهم في الجيش، وتحدثوا بلغة مهنية عن عتاد وأسلحة الجيش الإسرائيلي، وحللوا وفهموا التكتيك والإستراتيجية العسكريين اللذين اتبعهما في عملياته وحروبه المختلفة. لقد شكل الجيش الإسرائيلي جزءاً من روتين وجودهم، ومكوناً مهماً بين مكونات هويتهم كإسرائيليين.

مئات الآلاف من المواطنين الإسرائيليين يتوافدون عادة لحضور والمشاركة في الاحتفالات بـ "يوم الاستقلال" والمراسم والدورات العسكرية التي تنظمها ألوية الجيش المختلفة[١٥]. لقد أضفيت على الجيش الإسرائيلي وعلى جنرالاته، منذ عهد دافيد بن غوريون، ومن ثم في عهد رؤساء الحكومات اللاحقين، هالة من التقديس، حظيت بالقبول لدى غالبية الجمهور، وتحول الجيش والجندية إلى شريحة طبقية قائمة بذاتها. "إنهم يتحدثون بلغة خاصة بهم، ولديهم وعي طبقي خاص"[١٦].

لقد أضحى الجيش والجنرالات والسياسة نسيجاً واحداً متشابكاً لايمكن الفصل بين أجزائه تقريباً. وبخلاف تام لفكرة هرتسل اليوتوبية، فقد أخذ الجيش على عاتقة مهام ووظائف مدنية مهمة في عملية بناء الأمة، مثل: إقامة مستوطنات حدودية للمسرحيين من قوات "البالماح" و "ناحل"، وتشغيل النساء في وظائف "مدرسات–مجندات" في بلدات التطوير، إضافة إلى دوره في مجال استيعاب المهاجرين. وهكذا طُمست الحدود بين المجتمع بمجمله وبين الجيش الإسرائيلي.

هناك علاقات متبادلة وارتباط واسع ومميز، جزء منه ممأسس، بين المستوى السياسي والمستوى العسكري. وعلى سبيل المثال فإن رئيس الاستخبارات العسكرية يشغل أيضاً منصب مستشار رئيس الحكومة لشؤون الاستخبارات، مع كل ما ينطوي عليه الأمر من مغزى بالنسبة لمصادر التقدير التي تعتمد عليها الدولة في شؤون الأمن القومي.

كذلك كثيراً ما تتم دعوة رئيس هيئة الأركان العامة وجنرالات الجيش للمشاركة في جلسات الحكومة، وبالتالي فإنهم يشاركون في عملية اتخاذ القرارات، وقد استطاع الجنرالات في غير مرَّة فرض رأيهم على الحكومة.

أهداف مدنية في بيروت.

هناك ظاهرة شائعة في العلاقات بين المستوى العسكري والمستوى السياسي و هي التكتلات و التحالفات الخفية التي تنشأ بين الجانبين. ومن المعلوم أن ترقية كبار الضباط يتم بالتشاور مع المستوى السياسي، ولذلك يبدي الضباط الذين تتم ترقيتهم تفهمًا و تعاوناً مع السياسيين، وكثيراً ما يلتحق العديدون من هؤلاء الضباط بعد تسريحهم أو استقالتهم، بأحزاب السياسيين الذين ساعدوهم في التقدم في الجيش[١٧].

وفي ضوء الوضع الأمني الخاص الذي تعيشه إسرائيل، عقب احتلالها لمناطق واسعة في حرب العام ١٩٦٧، نجد أن للجيش الإسرائيلي و جنرالاته ضلع ودور كبيران في ممارسة السيطرة و السلطة على السكان الفلسطينيين بواسطة الحكم العسكري و المدني في المناطق المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان). والسيطرة على سكان مدنيين وإدارة حياتهم تعنى شكلاً آخر من أشكال "تسييس" الجيش، والذي يشمل قدرته على التأثير على السياسة غير العسكرية لإسرائيل فيما يتعلق بتلك المناطق (المحتلة) بما في ذلك في مواضيع "جدران وأسوار الفصل"، والمستوطنات والمواقع الاستيطانية اليهودية ونوعية حياة السكان الفلسطينيين[١٨].

علماء الإجتماع و الإنثروبولوجيون الذين بحثوا حالات ضباط كبار في الجيش، قالوا في أبحاثهم إنهم لم يجدوا "عقلاً عسكرياً" وإنما "ثقافة أولية" قسم جنرالات الجيش[١٩].

وبذلك فإن العسكريين يقبعون في بُنية اجتماعية هرمية صارمة، تتناقض أحياناً مع تكوينهم السيكولوجي. فالمتطلبات الخاصة التي تمليها مسؤولية القيادة في ظروف القتال، تصبح قالباً للتركيبة المعقدة من ناحية سيكولوجية[٢٠].

من جهة أخرى فإن منظومة الصفات والسجايا الشخصية التي ينميها

ويعزو الباحثون تراجع مكانة الجنرالات إلى عدة عوامل منها: ازدياد حالات الفشل لدى اشتغالهم في العمل السياسي، إضافة إلى تضخم عددهم في المرافق الاقتصادية والذي لم ينتج عنه الشيء الكثير خلال العقد الأخير. كذلك أدى فشل جنرالات أجهزة الاستخبارات في توقع تطورات وسيرورات مصيرية، إلى إلحاق ضرر شديد بسمعتهم[٢٧]. كما لوحظ أن الكثيرين من الجنرالات يتخلون عن الانخراط في الحياة السياسية على المستوى القومي مؤثرين الانخراط في الحكم المحلي، على أمل أن يُتاح لهم التقدم و "الارتقاء" مستقبلاً[٢٨].

ويشجعها الجيش، والتي تتم بناء عليها عملية التقدم والترقية، هي أقل غموضاً وضبابية. الصفات والسجايا المشتركة للملتحقين بالمهنة ليست كثيرة، وهي تشمل قطاعاً واسعاً من الناس الأمر الذي لا يبقيها ذات طابع خاص، علماً أن نمط الحياة العسكرية يعد جذاباً للغاية، على الأقل لفترة معينة من الوقت[٢١].

ويتمسك الجنرالات غالباً بشكل حاد بفكرة الانتصار، وبمعنى الانتصار من أجل الانتصار، خلافاً لأسئلة من قبيل: ما الذي نريد تحقيقه من خلال الانتصار؟ أو هل يبرر الانتصار الثمن الذي يتعين دفعه في المقابل من الناحيتين التكتيكية و الإستراتيجية[٢٢].

هذا التوجه يضع الحرب وجنرالاتها في نفس الخانة أو الزاوية، كمنافسة في لعبة قوى يكون الهدف الوحيد فيها هو الفوز[٢٣]. ويكون الجنرال متبعاً بقناعة عميقة بشأن أهمية الكرامة والسمعة التي تفرض عليه جلب النصر لشعبه بالسلاح الذي يمتلكه. والنصر يشجع بدوره الأمة التي تعاني من كبت داخلي. إضافة إلى ذلك من الممكن أن يستبدل القائد العسكري كرامة شعبه بكرامته الشخصية، أو بكرامة قواته، بسهولة متناهية[٢٤].

إحدى الطروحات أو الفرضيات التي تلازم السجال العمومي-السياسي في إسرائيل، مؤداها أن الجنرالات ورجالات الأمن يتدخلون أكثر من اللازم في السياسة الإسرائيلية، وخاصة خلال السنوات الأخيرة[٢٥].

مسألة الجنرالات وتدخلهم في اتخاذ القرارات السياسية، خضعت كثيراً للبحث والدراسة، لكن ضلوعهم في "جرائم الحرب" لم يُبحث ولم يُدوَّن إلاّ بطريقة غير مباشرة وبين السطور[٢٦].

في العقد الأخير لاحظنا سيلاً متدفقاً من الجنرالات أغرق الحياة السياسية والاقتصادية في الدولة، على الرغم من إشارة بعض الأبحاث الحديثة إلى هبوط مكانة كبار ضباط الجيش الإسرائيلي في نظر الجمهور الواسع، وخاصة منذ الثمانينيات، وعلى ما يبدو في أعقاب حرب "يوم الغفران" (١٩٧٣) وما يعرف بـ "حرب الجنرالات".

كذلك تراجعت صورة ومكانة الجنرالات لدى أرباب العمل، وازدادت الشكوك أيضاً حول نجاحهم كرؤساء بلديات وكمدراء عامين في شركات اقتصادية مختلفة.

ويعزو الباحثون تراجع مكانة الجنرالات إلى عدة عوامل منها:

ازدياد حالات الفشل لدى اشتغالهم في العمل السياسي، إضافة إلى تضخم عددهم في المرافق الاقتصادية والذي لم ينتج عنه الشيء الكثير خلال العقد الأخير. كذلك أدى فشل جنرالات أجهزة الاستخبارات في توقع تطورات و سيرورات مصيرية، إلى إلحاق ضرر شديد بسمعتهم[٢٧]. كما لوحظ أن الكثيرين من الجنرالات يتخلون عن الانخراط في الحياة السياسية على المستوى القومي مؤثرين الانخراط في الحكم المحلي، على أمل أن يُتاح لهم التقدم و "الارتقاء" مستقبلاً[٢٨].

"جرائم الحرب" -تعريف

مضى نحو قرن وربع القرن على بداية الاستيطان اليهودي الجديد في "أرض إسرائيل". كان الهدف المركزي لهذا الاستيطان هو إنشاء دولة قومية يهودية، دون إقامة أي اعتبار لأبناء القومية الأخرى التي تعيش في البلاد، وذلك تحت الشعار المجوج "من شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب"[٢٩].

مشكلة اليهود حُلَّت جزئياً، لكن مشكلة الفلسطينيين بقيت بعينها، بل وتفاقمت من فترة إلى أخرى نتيجة لما تعرضوا له من احتلال ولجوء ونزوح، بما في ذلك "الحاضرون الغائبون" منهم.

في العام ١٩٤٨، وقبل أن تضع الحرب أوزارها، كتبت حنه أرندات أنه بدون تعاون وعلاقات سلام مع العرب في "أرض إسرائيل" وخارج حدود الدولة، وبدون منح حرية كاملة وحقوق متساوية وحياة إنسانية كريمة للشعبين /الأمتين/ لن تكون هناك نهضة أو قيامة لا لليهود ولا

للعرب.

وحتى إذا انتصر اليهود فإن هذا النصر سيكون نصراً وهمياً خادعاً، إذ أنهم سيكونون محاطين ومحاصرين داخل تجمع كبير من السكان العرب، الأمر الذي سيفرض عليهم الانشغال طوال الوقت في الدفاع عن النفس والحروب و الاحتلالات والتقتيل المتبادل[٣٠].

تنبؤ ورؤية إرندت، لم يتحققا حتى اليوم، فما زال ضباط كبار في الجيش الإسرائيلي، الآن في سنة ٢٠٠٦، مهددين إذا غادروا حدود البلاد إلى الخارج بالاعتقال والمحاكمة بتهمة ارتكاب "جرائم حرب" (على سبيل المثال رئيس الأركان السابق موشيه يعلون والجنرال دورون الموغ).

"جرائم الحرب" هذه عُرِّفت بصورة جديدة وواضحة على الرغم من ميل الإسرائيليين نحو تعويم المفاهيم و الاختلاف مع هذا التعريف:

"...قتل سكان مدنيين في أرض محتلة أو داخل بلد محتل، اضطهادهم وطردهم من أجل عمل بالسخرة أو لأي هدف آخر"[٣١].

القتل: القتل العمد، القتل مع سبق الإصرار والترصد. (سافير، ١٩٩٧ ١٠١٤).

يبدو أن هذه الظاهرة تلازم البشر منذ الخليقة. في التوراة نجد أن أول قتل تم في قصة قابيل وهابيل، وهناك قوانين وأحكام كثيرة "تُسوّي" مكانة ومستقبل القاتل. وقد وردت كلمة "القاتل" في التوراة ٢٧ مرة و "القتل" ١٦ مرة.

في السياق المعاصر يحفل تاريخنا بذكر "جرائم الحرب". يوسيف نحماني، عضو منظمة "هشومير" الذي كان قائداً بازاً في "الهاغاناه" ثم رئيساً لمكتب "الكيرن كيميت" في الجليل الشرقي، كان شاهداً على وحشية الجنود الإسرائيليين تجاه القرويين العرب في أواخر العام ١٩٤٨. وقد كتب نحماني في مذكراته في تشرين الثاني ١٩٤٨، واصفاً عمليات القتل و التطهير ومن ضمن ما أورده:

"... في صفصاف، وبعد أن رفع رجاله... الراية البيضاء، قاموا (أي الجنود الإسرائيليون) بجمع الرجال و النساء كل على حدة، وقيدوا أيدي نحو خمسين أو ستين فلاحاً، ثم أطلقوا النار عليهم وقتلوهم و دفنوهم في بئر واحدة. كما اغتصبوا عدداً من نساء القرية. وقد شاهد بين النساء إمرأة تحمل بين ذراعيها ابنها القتيل... استقبل القرويون الجنود برايات بيضاء ... وبعد ذلك تعرضوا لذبح حقيقي. قتلوا رجالاً و نساء. تقريباً ما بين ٦٠ إلى ٧٠ رجلاً. من أين أتوا بدرجة الوحشية هذه ... مثل النازيين (؟) تعلموا منهم"[٣٢].

مئير يعاري، أحد زعماء حزب "مبام"، علق أيضاً على السلوك

لبنان تشيع ضحاياها من المدنيين

الإجرامي للجنود الإسرائيليين في قرى عربية و على الإدعاء أن ذلك جاء من باب الانتقام لـ "ستة ملايين يهودي":

"أي كذب ورذالة هو هذا الإدعاء أن ذلك انتقام لستة ملايين ... أو يمكن لهؤلاء الأوغاد الاختباء خلف هذا الادعاء، هل يبرر ذلك قتل عرب عزل دون شفقة أو رحمة ..."[٣٣].

وعن (مذبحة) دير ياسين و قبية وكفر قاسم، كتب وقيل الكثير من الكلام، من قبيل: "تصرفنا مثل الألمان بشكل أوتوماتيكي ... لم نفكر".

كل ذلك في أعقاب ذبح ٤١ شخصاً من النساء والرجال والأطفال كانوا في طريق عودتهم إلى بيوتهم في نهاية كد يوم عمل[٣٤]. مؤخراً أدى قصف حي سكني في قطاع غزة لمقتل طفلة عمرها ٨ سنوات بقذيفة دبابة[٣٥].

الاضطهاد: ضغط، استبداد (سافير ص٧٠٥).

في التوراة ورد ذكر "مُضطَّهدين" من مختلف الأنواع، حيث وردت الكلمة وتصريفاتها المختلفة ٢٣ مرة، ويتضح من قصص التوراة أن الشعب اليهودي ("شعب إسرائيل") الذي عانى من أعمال اضطهاد، لم يتورع بدوره عن ممارسة الاضطهاد للغير.

أعمالنا في "المناطق المحتلة" هي بلا شك اضطهاد سافر، يتخلله فرض عقوبات جماعية، وإقامة حواجز وجدران وأسوار، وتدمير بنى تحتية، ومنع التنقل من قرية إلى أخرى ومن القرية إلى المدينة، وهدم البيوت وضرب مؤسسات السلطة المحلية وغير ذلك...

كل هذه الممارسات والأعمال تقع ضمن تعريف أو مفهوم "جرائم حرب"، إذ ينص القانون الدولي على أنه: لا يجوز نقل الناس من أماكنهم خلافاً لإرادتهم[٣٦].

الطرد: إبعاد بالقوة، إبعاد قسري (سافير ص١٢٧)

في سفر التكوين ورد ذكر أول عملية طرد في التاريخ "وطردتني اليوم" منذ قصة طرد آدم وحواء من الجنة وحتى الآن ونحن نشهد

"أجرى موشيه ديان مفاوضات مع دولتين في أميركا الجنوبية حول شراء مساحات واسعة من الأراضي فيهما لترحيل و توطين لاجئين فلسطينيين من قطاع غزة. وقد أقيمت في تلك الفترة (١٩٦٧-١٩٦٨) شركة عرضت على كل عائلة عربية (فلسطينية) توافق على الهجرة هبة مالية بقيمة ٣٠٠٠ دولار، مع تعهد من قبل الدولة المستوعبة بمنح جنسيتها لهذه العائلات بعد مرور عشر سنوات"[٣٩].

لجوء الطرف القوي، أثناء وقوع أعمال عدائية وحروب وصراع على الأراضي، إلى ممارسة الطرد.

كلمة "الطرد" وردت ٤٧ مرة في التوراة. أحياناً تم فعل الطرد ضد الشعب اليهودي، عندما كان يرتكب معصية أو إثماً في نظر الله، وأحياناً ضد شعوب أخرى من أجل توريث البلاد للشعب اليهودي. فعل الطرد يواكب كل مسيرة الاستيطان اليهودي في "أرض إسرائيل" ابتداء من موجة الهجرة الأولى (عام ١٨٨٢) و إقامة المستعمرات الأولى، مروراً بهجرات "مستوطنات العمل" في العقود الأولى من القرن العشرين، وحرب العامين ١٩٤٨ و ١٩٦٧.

وقد ورد ذكر محاولات "الترانسفير" في كتابات و مؤلفات زعماء الحركة الصهيونية الأوائل، ابتداء من هرتسل، صاحب فكرة "الدولة اليهودية"، و لاحقاً كبار زعماء الدولة ذاتها، ولا يتسع المجال هنا لسرد ذلك بالتفصيل[٣٧].

رعنان فايتس، الذي يعتبر من أشد المتحمسين لمشروع الاستيطان الصهيوني طوال جيلين تقريباً (١٩٣٦-١٩٨٨) كَتَبَ في مؤلَّف له[٣٨]:

"أجرى موشيه ديان مفاوضات مع دولتين في أميركا الجنوبية حول شراء مساحات واسعة من الأراضي فيهما لترحيل و توطين لاجئين فلسطينيين من قطاع غزة. وقد أقيمت في تلك الفترة (١٩٦٧-١٩٦٨) شركة عرضت على كل عائلة عربية (فلسطينية) توافق على الهجرة هبة مالية بقيمة ٣٠٠٠ دولار، مع تعهد من قبل الدولة المستوعبة بمنح جنسيتها لهذه العائلات بعد مرور عشر سنوات"[٣٩].

حاخامات مجلس المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية و قطاع غزة، دعوا في مناسبات مختلفة إلى طرد السكان العرب. وقد صرح الحاخام ليئور في اجتماع للحاخامات جرى عام ١٩٩٢، قائلاً: "يجب أخذ كل العرب من هناك، من سن ١٦ عاماً وحتى ٦٠ عاماً، وترحيلهم إلى مكان آخر، إلى الجنة"[٤٠].

الحاخام اسحق شيلات من مستوطنة "معاليه أدوميم" أكد قائلاً: "كل ما نفعله نتيجة لضائقة وغضب، ما عدا القتل، هو أمر جيد ويساعد ولا ضير فيه. مسموح حسب التوراة إحراق حانوت يعود لعرب ... إذا فعلت أي شيء من هذا القبيل، كن حذراً لئلا يتم الإمساك بك متلبساً"[٤١].

البروفسور أوريئيل طال، الذي تعقب المنطلقات الفكرية لحركة "غوش إيمونيم"، كتب أنه لا مكان، حسب وجهة نظر أعضاء الحركة، للأغيار (غير اليهود) في البلاد و أنه يجب طردهم:

"بطريقة دوغمائية و نظرية محكمة تقود بالضرورة إلى سياسة لا تستطيع تحمل أو استيعاب مفهوم حقوق الإنسان و المواطن، و ترى أن هذا المبدأ الديمقراطي أوروبي يجعلنا غرباء وجودياً عن الديار المقدسة"[٤٢].

الحاخام شلومو أبينار قال جازماً أن إحتلال البلاد والاستيطان فيها يقفان "فوق الاعتبارات الأخلاقية و الإنسانية بشأن الحقوق القومية للأغيار في بلادنا"[٤٣].

موشيه بن يوسف (هاغار) قال إن "تفريغ البلاد من سكانها العرب هو مهمة صهيونية من الدرجة الأولى، بشكل لا يقل وربما حتى يفوق توطين البلاد بسكان يهود. لا يوجد حل وسط في هذا الموضوع، لأن أرض إسرائيل لم تكن أبداً وفي أي وقت فارغة من الناس، لا يوجد أي حق للعرب في أرض إسرائيل"[٤٤].

مئير سايدلر، دكتوراه في التاريخ، كتب قائلاً:

"عرب الزمن الحالي أسوأ من الألمان في العهد النازي. السلام يصنع الأعداء، لكن العرب ليسوا أعداءً، بل معادون. و الوضع مع المعادي أو المناوئ لا يكون إلاّ وضع صراع لا هوادة أو مساومة فيه، إنه صراع حياة أو موت ..."[٤٥].

الحاخام يوعازار أريئيل من "كريات أربع" صرّح قائلاً "نتمنى أن نشاهد طرد جميع الأعداء الذين يحيطون بنا هنا"[٤٦].

تلك هي قائمة "رائعة" من المفكرين والسياسيين والحاخامات الذين أيدوا وما زالوا يؤيدون طرد وترحيل العرب من وطنهم. أقوالهم وأفكارهم تنفذ شيئاً فشيئاً إلى عقول قسم من الجمهور الواسع، بل

وتشكلت أحزاب شرعية تتضمن برامجها الانتخابية، علناً أو ضمناً، فكرة الترانسفير–موليدت، "هئيحود هلئومي: [الاتحاد الوطني]– يسرائيل بيتينو"، "زوأرتسينو– [هذه بلادنا]" وغيرها...).

إن أعمال القتل والاضطهاد والطرد هي إذن من الأركان الأساسية" لتعريف مفهوم "جرائم الحرب". فهل نحن بريئون منه ؟ !

مراجع وملاحظات

[1] للتوسع في الموضوع أنظر:

عاموس إيلون "هرتسل" تل أبيب: عام عوبيد ١٩٧٦.

شلومو أفنيري "الفكرة الصهيونية بتلاوينها" تل أبيب: عام عوبيد، ١٩٨٠، ص١٠٥–١١٨.

اليكس بين "ثيودور هرتسل" القدس: ١٩٤٨.

[2] أنظر مفردات حسب الترتيب:

زئيف شيف وإيتان هابر "قاموس الأمن الإسرائيلي" تل أبيب ١٩٧٦. كتاب تاريخ الهاغاناه.

دافيد نيف. المنظمة العسكرية القومية.

[3] حول هذه القضية، أنظر:

دافيد نيف. الـ "إتسل" ص٧١–٧٢.

يوسيف كرستر "الإتسل" ص١٨١–١٨٤.

إلياهو لنكين "قصة ... التالينا" تل أبيب: هدار ١٩٦٧.

شيف وهابر، المصدر السابق ص٤٦–٤٨.

أوري برنر "التالينا". إيفعال: معهد تبنكين ١٩٧٨.

مئير بعيل وبنحاس يورمان. إختبار الحركة الصهيونية. ص٣٦٠–٤٠٤.

[4] أنيتا شابيرا– من إقالة رئيس القيادة القطرية وحتى حل البالماح– الكيبوتس الموحد ١٩٨٠.

مئير بعيل وعوزرئيل رونين "صراعات قوى في القمة" إيفعال: مركز غاليلي (بدون تاريخ).

[5] ش.ن. آيزنشتاين. المجتمع الإسرائيلي في متغيراته. القدس، ماغنس (١٩٨٩) ص١٦٧.

[6] كان الجنرال يعقوب دوري أول رئيس لهيئة الأركان العامة، إلا أن نشاطه لم يبرز تقريباً بسبب مرضه أثناء حرب ١٩٤٨، التي تولى إدارتها عملياً يغئال يادين.

أنظر شيف وهابر، المصدر السابق، ص١٣١–١٣٢ و ٢٣٦.

[7] أنظر حول موضوع "المؤسسية" في المجتمع:

ليئونراد يروم وفيليب سلزنيك. سوسيولوجيا:

أسس، مبادئ وتوجهات. ص٢٢٧–٢٣٠.

آيزنشتات، المصدر السابق، ص٢١٣–٢٦٤.

[8] تم ضم المنطقتين الأخيرتين (هضبة الجولان والقدس الشرقية) واقعياً وعملياً بناء على قوانين سنها الكنيست، "قانون القدس" و "قانون هضبة الجولان"، إلاّ أن هذين القانونين لم يحظيا بقبول أو اعتراف دول العالم والأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وسكان هاتين المنطقتين غير اليهود.

عن جذور النزاع الإسرائيلي–العربي والنزاع الصهيوني–الفلسطيني أنظر:

دان ياهف. جذور النزاع الصهيوني–الفلسطيني. تل أبيب "عيتون ٧٧" ٢٠٠٤.

يوءاب غلبر. النهضة والنكبة. تل أبيب: دافير ٢٠٠٤.

آبي شلايم. "الجدار الحديدي: إسرائيل والعالم العربي".

تل أبيب: يديعوت أحرونوت ٢٠٠٥.

شموئيل دوتان. "الصراع على أرض إسرائيل" تل أبيب: إصدار وزارة الدفاع، ١٩٨٢.

[9] ش. ن. آيزنشتاين، المصدر السابق ص٣٧٥.

مناحيم كلاين "مبادرة جنيف– نظرة من الداخل". القدس، كرمل، ٢٠٠٦ ص١٧٨–١٧٩.

[10] اسحق سديه، يغئال آلون، موشيه ديان، أبرهام شتيرن، الياهو غولومب، يوسيف أبيدار، شاؤول أبيغور وآخرون كثيرون...

[11] ش. ن. آيزنشتات "البنية السوسيولوجية لليشوف اليهودي"، مولد، آذار ١٩٤٩.

البنية الاجتماعية لإسرائيل. كلية بيرل كتسنلسون ١٩٥٩ ص ٣٩–٤٠.

حاييم أرلزوروف "صراع الطبقات في واقع أرض إسرائيل". عام عوبيد ١٩٥٠ ص٥٤–٦٣.

عيدنا لومسكي بدر، "كما لو لم تكن الحرب" القدس، ماغنس ١٩٩٨.

[12] موشيه ليسك "ملامح المجتمع و الطبقة في المجتمع اليشوفي و الإسرائيلي: أنماط التغيير في الأيديولوجية والبنية الطبقية" مولد، الجزء ١٢، ١٩٦٤ ص١٩٥–١٩٦ و تشرين الثاني ١٩٦٤ ص٤٩٥–٥٠٣.

فيرد كراوس "نظرية بنية المهن في إسرائيل" مغموت ٣/٢٦ (١٩٨١) ص٢٨٣–٢٩٤.

[13] ش. ن. ايزنشتات "المجتمع الإسرائيلي في متغيراته" ص٣٩١.

آبي شلايم. المصدر السابق ص٢٧٩–٣٤٠.

مناحيم كلاين. المصدر السابق ص١٧٨–١٧٩.

دان ياهف "طهارة السلاح" ص٢٦٨–٢٨١.

شموئيل روزنر "عندما ينزع الجيش الأميركي بزته" هآرتس ٢٠٠٦/٢/٥ ص/ب١.

شوليت ألوني "أيها الجنرالات، كفوا عن تخويفنا" هآرتس ٢٠٠٦/٢/٢٧ ص/ب٢.

[14] أيزنشتات. نفس المصدر ص٤٠٦–٤٢٥.

حافا عتسيوني حليفي. "مكان في القمة: النخب والنخبوية في إسرائيل" تل أبيب، تشيريكوبر ١٩٩٧ ص٦٧–٦٨.

[15] هآرتس ٢٦ نيسان ١٩٦٦ ص١.

يديعوت أحرونوت ٢٦ نيسان ١٩٦٦ ص٤.

معاريف ٢٦ نيسان ١٩٦٦ ص٤.

هآرتس ٨ تموز ١٩٦٦ ص٨.

[16] توم سيغف "١٩٦٧– والبلاد غيرت وجهها" القدس: كيتر ٢٠٠٥ ص١٧٥–١٧٨.

يغيل ليفي؛ "جيش آخر لإسرائيل: العسكرة المادية في إسرائيل" تل أبيب: يديعوت أحرونوت ٢٠٠٣، ص٤١–٨١.

حول إخفاقات رؤساء هيئة الاستخبارات العسكرية (أمان) وجهاز المخابرات الداخلية (الشاباك) وتضليل الإدارة المدنية، أنظر:

ناحوم بارنياع "رهان الانتخابات الفلسطينية" يديعوت أحرونوت ملحق "٢٤ ساعة" ٢٠٠٦/١/٣٠ ص٤.

عكيبا الدار. "لم يَكن لدى موفاز تفكير سخيف مثل تدمير السلطة" هآرتس ٢٠٠٦/١/٣١ ص/ب٢.

ب. ميخائيل "حماقة القوة" يديعوت أحرونوت، ملحق السبت ٢٠٠٦/٤/٤ ص١١.

[17] برزت هذه الظاهرة بشكل خاص، تمهيداً للإستعداد للإنتخابات الأخيرة وإقامة أحزاب جديدة ("كديما"، "تنوفا"). ويتفاخر كل حزب بالجنرالات الذين استطاع تجنيدهم: عامي أيالون، آبي ديختر، شاؤول موفاز، إيفي إيتام، متان فيلنائي، عوزي ديان وغيرهم ... سواء أحزاب اليسار أو اليمين وحتى الأحزاب الدينية.

[18] أنظر حول هذا الموضوع:

شيلة هيتيس رولف "معجم إسرائيل السياسي" ص٢٣٥–٢٣٦.

عوفر شيلح "لاعلم لهم!" يديعوت أحرونوت ٢٠٠٦/١/٢٩ ص٤ (ملحق "٢٤ ساعة").

[19] مثلما يمكن ملاحظته لدى: لاعبو كرة القدم، المحامون، الأطباء، أساتذة الجامعات،

[٢٠] M. Janoviz. **The Professional Soldier: A Social and Political Portrait.** New – York: Free Press, 1960.

[٢١] S. Huntington. **The Soldier and The State: The Theory, and Politics of Civil – Military Relations.** Cambridge, Mass: Harvard University Press, 1957.
A. Yarmolinsky. **The Military Establishment.** New – York: Harper & Row, 1971.

عيدنا لومسكي-بدر "كما لو لم تكن الحرب" القدس: ماغنس، ١٩٩٨.

[٢٢] في سنوات عمر الدولة القصير يمكن تعداد ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ رتبة (وظيفة) رفيعة في الجيش من رتبة جنرال وميجر جنرال وكولونيل. وحول الصفات المطلوبة أنظر: بارنارد برودي "الحرب والسياسة" ص٤٠٩-٤٢٣.

[٢٣] أنظر حول هذه المسألة:
توم سيغف "١٩٦٧" ص٢٤٥-٣٥٨.

[٢٤] ما زالت ماثلة في الذاكرة صورة النشوة التي سادت عقب إنتصار حرب "الأيام الستة"، وكذلك أيضاً حرب الألوية العسكرية من أجل سمعتها.

[٢٥] نذكر بشكل خاص النقد الذي وجه للجنرال أمنون ليبكين-شاحاك، الذي أجرى، وهو يرتدي الزي العسكري، محادثات سياسية مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية. شوليت ألوني: "أيها الجنرالات، كفوا عن تخويفنا" هآرتس ٢٠٠٦/٢/٢٧ ص٢ القسم ب.
أمير أورن "توجه إلى الخلف، سار إلى الأمام" هآرتس، ٢٠٠٦/٢/٢٧ ص١ القسم ب.

[٢٦] أنظر حول هذه المسألة:
يوسي سريد"لم يكن لديهم ما يقولونه ولو القليل" ٢٠٠٦/١/١٠ ص٣ القسم أ. أنظر أيضاً ملاحظات ١٣ و ١٦.

[٢٧] يسرائيل درور "إستراتيجية تساوق لسيرة ثانية" رسالة الماجستير جامعة تل أبيب ١٩٩٠.
يورام بيري "القشدة والقطر و القلنسوة الحمراء" [بوليتيكا-٣٥] ١٩٩٠، ص٤٢-٤٣.
ناحوم بارنياع - نفس المصدر.

[٢٨] عوزي بنزيمان "القسيمة على جدران التيفلون" بوليتيكا ٣٥ (١٩٩٠) ص٣٨-٣٩.
ديفنه شكيد "السيرة الثانية لكبار ضباط الجيش في إسرائيل" تل أبيب: جامعة تل أبيب. المدرسة للحكم والسياسة، ٢٠٠٦.
ر. إيرز "علاقات المستوى المدني والمستوى العسكري في إسرائيل: العلاقات المتبادلة وطرق الرقابة". تل أبيب: جامعة تل أبيب، مركز "يافة" للدراسات الإستراتيجية، مذكرة رقم ٦٨، (٢٠٠٣).

[٢٩] هذا الشعار تبناه يسرائيل زنغويل ثم صار شائعاً لدى الكثير من المؤرخين والسياسيين.

[٣٠] Hannah Arendt. "To Save The Jewish Homeland" Totalitarianism, New – York: 1951, (1973), p. 290.

[٣١] أُقتبس لدى: عيديت زرطال "الأمة والموت – تاريخ ذاكرة وسياسة" أوريهودا: كنيرت، زمورا-يتان دفير ٢٠٠٢ ص١٠٤.

[٣٢] يوميات يوسيف نحماني. ٦ تشرين الثاني ١٩٤٨. مقتبس لدى: بيني موريس: "تصحيح خطأ. يهود وعرب في أرض إسرائيل – ١٩٣٦-١٩٥٦" تل أبيب: ٢٠٠٠، ص١٣١-١٣٢.
هناك كتب أخرى له تطرقت أيضاً إلى الكثير من عمليات القتل والمجازر:
بيني موريس: "ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين- ١٩٤٧-١٩٤٩" تل أبيب: عام عوبيد ١٩٩١.
بيني موريس: "حروب إسرائيل الحدودية ١٩٤٩-١٩٥٦" تل أبيب: عام عوبيد ١٩٩٦.
بيني موريس: "ضحايا: تاريخ النزاع الصهيوني-العربي، ١٩٨١-٢٠٠١" تل أبيب: عام عوبيد ٢٠٠٣.
عرض شامل للقتل والمجازر في تاريخ الاستيطان، أنظر: دان ياهف "طهارة السلاح- أخلاق، أسطورة وواقع" تل أبيب: "تموز، ٢٠٠٢.
دان ياهف: "جذور النزاع الصهيوني-الفلسطيني" تل أبيب: "عيتون ٧٧"- ٢٠٠٤.

[٣٣] مئير يعاري في اللجنة السياسية لحزب "مبام"، ١١ تشرين الثاني ١٩٤٨. أرشيف الكيبوتس القطري. ١٠/٩٥/١٠ (٦).

[٣٤] روبيك روزنطال. "كفر قاسم، أحداث وأسطورة" تل أبيب: الكيبوتس الموحد، ٢٠٠٠، ص٢٨، ٣٢ و ٤٧.

[٣٥] هآرتس، ٢٠٠٦/٤/١٤.

[٣٦] هآرتس، نشرت مقالات كثيرة في السنوات الأخيرة بأقلام غدعون ليفي، عميره هيس، عميرام بركات، ميرون رافوورت وآخرون.
أنظر على سبيل المثال: أسافا بيلد "خارج الجدار" يديعوت أحرونوت (ملحق "شبيع يميم") ٢٠٠٦/٤/١٤ ص٥٠-٥٨.

[٣٧] دان ياهف "جذور النزاع الصهيوني-الفلسطيني" تل أبيب: "عيتون ٧٧" ٢٠٠٤.
دان ياهف: "فكرة الترانسفير: قولاً وعملاً" "عيتون ٧٧" ٢٦/٢٦٧ (أيار ٢٠٠٢) ص٢٦-٢٩.
دان ياهف "الترانسفير في الأفكار والأفعال الصهيونية" "مطعان-٨" ٢٠٠٣، ص١٣-١٩.

[٣٨] رعنان فايتس "المحراث الكبير وخارطة التخطيط: نظرة على تاريخ الاستيطان في دولة إسرائيل" القدس: مؤسسة بياليك، ٢٠٠٣ ص٤٦.

[٣٩] هذه المحاولة فشلت نتيجة للصمود الفلسطيني والتخطيط القاصر. وقد نشرت حول هذه القضية عدة تقارير صحافية استعرضت محاولات الترانسفير.

[٤٠] أربيل ألوني، إيال ليفي وشلومو تسزنا "الحاخام ناحوم رابينوفيتش يتهم الحكومة بتشجيع الإرهاب و تقوية عرفات" معاريف ٢٠٠٥/١١/١٣.

[٤١] إيلون شاحر وآبي بوزان "انتفاضة كما يجب" كول هعير ١٩٨٩/٨/١١.

[٤٢] أوريئيل طال "الأسطورة والحكمة في اليهودية المعاصرة" تل أبيب: ١٩٨٦ ص١٢١-١٢٥.

[٤٣] شلومو أبينار "الواقعية المسيحانية" مورشاه الجزء ٩ "سنة انتفاضة" بيت إيل (١٩٩٠).
"حوار مع الحاخام تسبي يهودا" كيشت- ٢٠٠٠.

[٤٤] موشيه بن يوسيف "مع الترانسفير" – نيكوداه (١٠٩) ١٩٨٧/٤/١٤ ص١٦-١٧.

[٤٥] مئير سايدلر "العرب اليوم أسوأ من الألمان في العهد النازي" نيكوداه (١٥١) تموز ١٩٩١، ص٢٤-٢٥.

[٤٦] يهودا ليطاني (...) هآرتس ١٩٨٠/٥/٩.
حول الترانسفير أيضاً انظر:
أفيفا لوري ويوسي ميلمان "غزة – عملية الإخلاء الأولى" ملحق "هآرتس" ٢٠٠٥/٨/١٩ ص١٨-٢٢.
وأنظر أيضاً ملاحظة رقم ٣٨.
سارة ليفوفيتش-دار "الطرد إلى الجنة" معاريف ملحق السبت "سوف شبوع" ٢٠٠١/٨/٣٠.
يهودا ليطاني "استمرار الحظ ما زال متوقعاً" يديعوت أحرونوت، ملحق "٢٤ ساعة" ٢٠٠٥/٢/٣، ص٥.
عوديد ليفشيتس "العودة إلى رفح" – (أهداف هيروك – رقم ٧٢) ٢٠٠٢/٢/٧ ص١٢-١٣.